

من تاريخ قنسرين

علي جُمعة الخويلد*

الجنوب الغربي من حلب وعلى بعد ثلاثين كيلو متراً تقع مدينة قنسرين وليس ثمة أثر للمدينة إنما هي تلال عالية من التراب • هي أطلال تلك المدينة العظيمة وقد طمرتها الأتربة •

إل

كانت في يوم من الأيام عاصمة الأقطار الحلبية • وقبل الفتح الإسلامي ضارعت انطاكية عظمة واتساعاً وفخامة بناء • وظلت كذلك بعد الفتح الإسلامي ، وتقوم اليوم على أطلالها قرية صغيرة تسمى العيس ، أرجو أن يتاح لمديرية الآثار أن تقوم بالحفر في هذه المنطقة لتكشف عن كثير من آثار هذه المدينة العريقة الغريقة تحت التراب •

□ تسميتها :

قال أبو بكر بن الأنباري : أخذت من قول العرب قنسري أي مسن •

وأنشد للعجاج :

أطرباً وأنت قنسري* والدهر بالانسان دواري

وأنشد غيره :

وقنسرته أمور فاقسان لها وقد حنى ظهره دهر* وقد كبرا

(*) مهندس من سوريا •

وفي إعرابها وجهان يجوز أن تجريها مجرى قولك الزيدون فتجعلها في الرفع بالواو وتقول هذه قنّسرون وفي النصب والخفض بالياء فتقول مررت بقنّسرين ورأيت قنّسرين والوجه الآخر أن تجعلها بالياء على كل حال وتجعل الاعراب في النون ولا تصرفها (١) .

وقال آخرون دعا أبو عبيدة بن الجراح ميسرة بن مسروق العبسي فوجهه في ألف فارس في أثر العدو فمر على قنّسرين فجعل ينظر إليها فقال ما هذه فسميت له بالرومية . قال : والله لكأنها قنّسرون فسميت قنّسرين . وهذا الخبر يدل على أن قنّسرين اسم مكان آخر عرفه ميسرة العبسي فشبهه به (٢) .

وقنّسرين كلمة آرامية بمعنى عش (وكر) النسور (٣) وهناك ما يدل على صحة هذه التسمية وجود بعض النقوش لنسور على مداخل المغائر الموجودة .

أما الاغريق فقد كانوا يسمون قنّسرين بـ خالسيس Khaleis وهي تعني النحاس (٤) . أما الروم فقد سموها خلكيس وكانت كرسياً اسقفياً نصّب بها ثلاثة عشر أسقفاً الى أيام الفتح الاسلامي . وقد دُعيت بالعبرانية صوما وأن اسمها في التوراة كذلك فسميت بعد ذلك قنّسرين (٥) .

ويقال لقنّسرين هذه قنّسرين الأولى أما قنّسرين الثانية فهي حيار بني القعقاع (٦) .

□ فضل قنّسرين :

عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن النبي ﷺ قال : « ان الله عز وجل أوحى اليّ أيّ هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك - المدينة أو البحرين أو قنّسرين » أخرجه الطبري والترمذي (٧) .

وفي أعلى الجبل المجاور لقنّسرين مشهد يقال إنه مقام النبي صالح عليه السلام ويغلب الظن أن هذا المشهد من بناء صالح بن علي بن عبد الله بن العباس (٨) فان ولاية الشام كانت اليه وله آثار بحلب وقنّسرين فنسب اليه وينسبونه أيضاً الى العيص بن اسحق ولذا تسمى القرية بالعيص حسب لفظ أهلها وينسب الى قنّسرين جماعة أثبتهم في الحديث الحافظ أبو بكر محمد بن بركة بن الحكم

بن ابراهيم بن الفرواج الحميري اليحصبي القنسريني المعروف ببر داس
سكن حلب ثم قدم دمشق وحدث بها • ويوسف بن سعيد بن مسلم وهلال بن أبي
العلاء الرقي وأبي زرعة الدمشقي وخلق كثير سواهم (٩) •

□ قنسرين قبل الفتح الاسلامي :

يقال أن الذي بنى قنسرين وفاميه وحلب هو سلو قس الأول (١٠) (انطياخوس)
أحد قادة الاسكندر واليه ينتسب السلوقيون (١١) •

ويقال أيضاً أن بطليموس الأريب لم يرض أن ينزل منزلاً لغيره فصار الى
موضع مدينة قنسرين فأمر القواد أن يأمرؤا من قبلهم بتحويط منازلهم وأخذ كل
واحد ببناء ما حوطه فبنى قنسرين وسماها مدينة العسكر ونقل الأسواق من حلب
اليها ولم يبق بحلب إلا من لا حاجة للعسكر اليه • وأنه أمر أن ينفق على
القناة الآتية اليها فأنفق نائبه مالاً وأجرى الماء فيها من عين المباركة بقرب
حلب الى مدينة قنسرين (١٢) • وكانت القناة قد سبقت تحت الأرض الى أن
انتهت الى القناطر وهي قرية من عملها فعمدت لها قناطر رفيعة ورفع ماء القناة
فوقها الى أن انتهى الى مكان مرتفع فسيقت تحت الأرض الى مدينة قنسرين
وكان شرب قنسرين منها (١٣) •

وكانت القوافل التي تأتي من البحر الى الفرات ومن الفرات الى البحر كان
طريقها الى قنسرين ولم تكن حلب حينئذ ممراً لهم لأنها كانت مدينة صغيرة • ولم
يوجد بها ما يوجد في قنسرين من صناعات وغيرها فبناء على ذلك تركوا توسيعها
لأن قنسرين كانت محطة لرجال التجار وتقصدوا القوافل والركبان حتى أن
تجار أوربا كانت تأتي إليها من السويدية في طريق انطاكية •

وتأتي إليها تجار العجم من الفرات بطريق بالس المسماة الآن مسكنة
يجتمعون فيها كل سنة مرتين يبيعون فيها أموالهم •

ولم تكن الطرق في ذلك الوقت سالكة الى حلب إلا من يقصد الذهاب الى
منبج فيكون طريقه الى حلب •

وكانت منبج إذ ذاك مقر صنم كبير اسمه تركيد ويعبد أهله وكانت تسمى هيرابلس^(١٤) وفي سنة خمسمائة وأربعين دخلت قنسرين الأعاجم وملكته بقيادة الملك كيرويس الشرواني^(١٥) وأحرقوها مع انطاكية ومنبج أما حلب فان بطركها ميكاس صالحهم على دراهم دفعها لهم فتركوها ثم بعد أن أحرق البلاد المذكورة وعمر سوق حلب رجع إلى بلاد العجم عن طريق مسكنة .

□ فتح قنسرين :

لما فتحت دمشق الشام في أيام عمر بن الخطاب بعد وفاة النبي محمد ﷺ وبعد وفاة أبي بكر الصديق على يد أبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وأصحابهما وذلك سنة خمس عشرة من الهجرة الموافقة لسنة ستمائة وثلاث وثلاثين من التاريخ الميلادي في أيام الخريف ونزعوها من أيدي الروم ورتبوا أمرها رحلوا عنها وساروا إلى حمص وحماء وقنسرين وبعدها حاصروها مدة قليلة أخذوا حمص وحماء .

أما قنسرين فقد بعث أبو عبيدة بن الجراح خالد بن الوليد إليها فلما نزل بالحاضرة (حاضرة قنسرين) زحف لهم الروم وعليهم ميناوس وهو رأس الروم وكان أكبر ملوكهم بعد هرقل فالتقوا بالحاضر فقتل ميناوس ومن معه مقتلة لم يقتلوا مثلها ومات من الروم خلق كثير^(١٦) .

وأما أهل الحاضر فكانوا من تنوخ نزلوا الشام وأقاموا في شمالها في خيم من الشعر ثم ابتنوا المنازل فأرسلوا إلى خالد بن الوليد أنهم عرب وأنهم لم يكن من رأيهم حربه فقتل منهم وترك الباقين . ودعاهم أبو عبيدة بعد ذلك إلى الإسلام فأسلم بعضهم وأقام بعضهم على النصرانية فصالحهم على الجزية وكان أكثر من أقام على النصرانية بنوا سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وحاضر قنسرين هي الآن قرية الحاضر^(١٧) .

ثم أن خالداً نزل على قنسرين فقاتله أهلها ثم لجؤوا إلى حصنهم فتحصنوا فيه فقال لهم : لو كنتم في السحاب لحملنا الله عليكم أو لأنزلكم إلينا ثم أنهم نظروا في أمرهم وذكروا ما لقي أهل حمص فطلبوا منه الصلح فصالحوه على صلح حمص .

وغلب المسلمون على جميع أرضها وقراها وذلك سنة ست عشرة للهجرة (١٨)
ولما توجه أبو عبيدة الى حلب بلغه أن أهل قنسرين قد نقضوا عهدهم فرد
اليهم السمط بن الأسود الكندي فحصرهم ثم فتحها فوجد فيها بقرأً وغنماً فقسم
بعضها فيمن حضر وجعل الباقي في المغنم .

□ قنسرين بعد الفتح الاسلامي:

كان من نتائج اهتمام الأمويين بمحاربة الدولة البيزنطية برأً وبحراً أن
اتجهوا الى جعل قنسرين جنداً مستقلاً عن جند حمص .

وكانت قنسرين وحلب مضافتين الى حمص فأصبحت حلب مضافة الى قنسرين
حتى نهاية الدولة الأموية ثم تدرجت حلب في العمارة وقنسرين في الخراب
حتى صارت مضافة الى حلب في أيام بني العباس .

واختلف المؤرخون فيما إذا كان معاوية هو الذي فصل قنسرين عن حمص أم
ابنه يزيد ويذكر البلاذري أن قنسرين وكورها كانت مضمومة الى حمص حتى
خلافة يزيد بن معاوية فجعل قنسرين وانطاكية ومنبج جنداً (١٩) .

فلما استخلف هارون الرشيد (أيام الدولة العباسية) أفرد قنسرين بكورها
فصير لها جنداً واحداً وأفرد منبج ودلوك ورعبان وانطاكية وسماها العواصم لأن
المسلمين يعتصمون بها في الثغور (٢٠) .

وقد جمعت الثغور الى الشام وبعض الثغور كانت تعرف بثغور الشام وبعضها
كانت تعرف بثغور الجزيرة وكلها من الشام ، ذلك أن كل ما كان وراء الفرات .
فمن الشام وثغور الجزيرة من ملطية الى مرعش لأن أهل الجزيرة كانوا يرابطون
ويغزون فيها لا لأنها من الجزيرة وأعمالها وكور الشام هي جند فلسطين وجند
الأردن وجند دمشق وجند حمص وجند قنسرين والعواصم والثغور (٢١) .

أما قنسرين فقصبته حلب ومن مدنها انطاكية وبالس - السويدية -
سميساط - منبج - التينات - مرعش - اسكندرونة وشيزر ومعرة النعمان ووادي
بطنان (٢٢) .

وما زالت قنسرين أهلة بالسكان الى أن كانت سنة ٣٥١ هـ غلبت الروم على حلب بقيادة نقفور وقتلت جميع من كان يربضها فخاف أهل قنسرين وتفرقوا في البلاد فطائفة عبرت الفرات وطائفة نقلها سيف الدولة الى حلب وقال بعضهم كان خراب قنسرين في سنة ٣٥٥ هـ قبل موت سيف الدولة بأشهر كان قد خرج اليها ملك الروم وعجز سيف الدولة عن لقائه فأمال عنه وجاء الى قنسرين وضربها وأحرق مساجدها (٢٣) .

ثم عمرت مرة أخرى وتراجع سكانها اليها واستمرت الى سنة ٣٨٩ هـ فغزاها الروم وضربوها ورحلوا عنها فجاء اليها بنو البصيص التنوخيون من أمراء جبل لبنان وعمروها ثم خربها الروم أيضاً عند قصدهم حلب سنة ٤٢٢ هـ ثم عمرها سليمان بن قتلمش وتحصن بها سنة ٤٧٩ هـ ثم ضربها تاج الدولة تتشق السلجوقي لما قتل سليمان المذكور .

وفي سنة ٥٦٤ هـ نقل نور الدين بن زنكي أعمدة سورها الى جامع حلب وبناها به وأخذ الناس حجارتها لعمائرهم .

وقد زار قنسرين الرحالة ابن جبير الأندلسي في سنة ٥٨٠ هـ فقال : وهذه البلدة المشهورة في الزمان لكنها خربت وعادت كان لم تقهر بالأمس فلم يبق إلا آثارها الدارسة ورسومها الطامسة وتشبهها من بلاد الاندلس (جيان) لذلك نذكر أن أهل قنسرين عند استفتاح الأندلس نزلوا جيان .

ولمحمد بن علي العشائري المتوفي سنة ٧٨٩ هـ كتاب سماه (تاج النسرين في تاريخ قنسرين) لم يعثر عليه .

□ الخواشي :

- ١ - معجم البلدان - الجزء السابع - ص ١٦٩ - الكامل : للمبرد - ص ٦٣٤ .
- ٢ - معجم البلدان - الجزء السابع - ص ١٦٩ - بغية الطلب في تاريخ حلب - الجزء الأول - ص ٧١ - كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب - الجزء الأول - ص ٣٦١ .
- ٣ - موسوعة حلب المقارنة - المجلد السادس - ص ٢٦٤ .
- ٤ - تاريخ حلب - الجزء الأول - صبيح الصواف - ص ١٢ .
- ٥ - الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب - ابن الشعنة - ص ١٦٢ .
- ٦ - بغية الطلب في تاريخ حلب - ابن العديم - الجزء الأول - ص ٧٤ .
- ٧ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - المقدسي - ص ١٥٦ - الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب - ص ١٦ - معجم البلدان - الجزء السابع - ص ١٦٩ - بغية الطلب في تاريخ حلب - الجزء الأول - ص ٧٢ .

٨ - صالح بن علي بن عبدالله بن عباس الهاشمي عم السفاح والمنصور وأول من ولي مصر من قبل الخلفاء العباسيين ثم أقره أبو جعفر المنصور بالجزيرة فكانت له النديار الشامية كلها ، مولده بالشرقة سنة ٩٦ هـ ، ووفاته بقتريين سنة ١٥١ هـ .

(أنظر كتاب الأعلام الخطيرة - ج ١ - قسم ١ - ص ١٧٠)

- ٩ - معجم البلدان - الجزء السابع - ص ١٧٠ .
- ١٠ - زبدة الحلب في تاريخ حلب - ص ١٥ .
- ١١ - السلوقيون : سلالة أسسها سلوقس الأول أحد قادة الاسكندر (٣١٢-٢٦٤) ق.م ، أخذ ملوكها اسم سلوقس أو أنطياخوس وعرفوا بملوك سوريا امتدت مملكتهم الى آسيا الصغرى وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ، ساهم السلوقيون في نشر الحضارة الهلنسية في الشرق فأسسوا مدنا كثيرة لهذا الغرض أصبحت من مراكز التفاعل بين الحضارتين الاغريقية والشرقية .

(تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء - ص ١٤)

- ١٢ - زبدة الحلب في تاريخ حلب - ص ٢٠ .
- ١٣ - بغية الطلب في تاريخ حلب - المجلد الأول - ص ٧٧ .
- ١٤ - تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء - ص ١١ .
- ١٥ - كيرويس الشرواني : يقصد به كسرى الأول (خسرو) الملقب كسرى أنو شروان .
- ١٦ - زبدة الحلب في تاريخ حلب - ص ٢٥ .
- ١٧ - نهر الذهب في تاريخ حلب - الجزء الأول - ص ٣٦١ .
- ١٨ - زبدة الحلب في تاريخ حلب - ص ٢٧ .
- ١٩ - زبدة الحلب في تاريخ حلب - ص ٢٩ .
- ٢٠ - الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب - ابن الشحنة - ص ٩ - الأعلام الخطيرة - الجزء الأول - القسم الثاني - ص ٣٥٣ .
- ٢١ - صورة الأرض - ابن حوقل - ص ١٥٤ .
- ٢٢ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - ص ١٥٤ - المسالك والممالك - ابن خرداذبة - ص ٧٥ .
- ٢٣ - الآثار الاسلامية والتاريخية في حلب - ص ٣١ .

□ أهم المصادر والمراجع :

- ١ - معجم البلدان - الامام شهاب الدين أبي عبدالله ياقوت الحموي .
- ٢ - بغية الطلب في تاريخ حلب - المجلد الأول - المولى صاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم - حققه وقدم له الدكتور سهيل زكار .
- ٣ - نهر الذهب في تاريخ حلب - كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البايي الحلبي المشهور بالغازي .
- ٤ - موسوعة حلب المقارنة - خير الدين الأسدي .
- ٥ - تاريخ حلب - حلب قبل الاسلام - ج ١ - صبحي الصواف .
- ٦ - الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب - قاضي القضاة أبي الفضل محمد بن الشحنة .
- ٧ - أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - شمس الدين المقدسي .
- ٨ - زبدة الحلب في تاريخ حلب - المولى صاحب كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم .
- ٩ - تحفة الأنباء في تاريخ حلب الشهباء - تيودور بيشون - ترجمة وتحقيق : د. شوقي شعث - الأستاذ فائق بكور .
- ١٠ - الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - ابن شداد - حققه : يحيى زكريا عبارة .
- ١١ - صورة الأرض - أبي القاسم بن حوقل النصيبي .
- ١٢ - المسالك والممالك - ابن خرداذبة .
- ١٣ - الآثار الاسلامية والتاريخية في حلب - الدكتور محمد أسعد طلس .